

الحلقة الأولى

سفر الجامعة

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نبدأ اليوم بدراسة سفر جديد من أسفار الحكمة في الكتاب المقدس ألا وهو سفر الجامعة لسليمان الحكيم. ويأتي ترتيب سفر الجامعة بعد سفر الأمثال في العهد القديم من الكتاب المقدس.

سفر الجامعة هو سفر تأملات عملية فلسفية، يعالج معضلة بشرية نواجهها جميعاً. وهذه المعضلة هي: سيطرة مشاعر الإحباط واليأس على الإنسان الذي يسعى لكي يحقق سعادته، عن طريق الممتلكات، وإشباع الملذات الجسدية، والتمتع بالقوة والسيطرة على الآخرين. وحاول سليمان الحكيم في هذا السفر ومن خلال اختباره الشخصي أن يحل هذه المعضلة ويواجه مشاعر الإحباط واليأس والفراغ. وقام ببحث نقدي لاختبارات الحياة ومعناها. وأكد فيها أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وأجوف وبلا معنى.

كتب سليمان الحكيم سفر الجامعة في أواخر أيامه. وقد قسمه الدارسون إلى أربعة أقسام. القسم الأول تحدث فيه سليمان الحكيم عن اختباره الشخصي. وفي القسم الثاني قدّم لنا ملاحظاته العامة. وفي القسم الثالث مشورته العملية. وفي القسم الرابع والأخير تحدّث عن النتيجة النهائية التي توصل إليها.

هل جرّبت مستمعي الحصول على الاكتفاء والسعادة وبوسائل عديدة، فما حصدت سوى الاحباط والفشل؟ أنت لست الوحيد إذ هذا هو اختبار الكثيرين. إن الإنسان يقضي حياته باذلاً الجهد لكي يتعلّم، ثم يضع كل قواه في العمل، وقد يحقق الكثير من أمنياته. ومع ذلك لا يجد أمامه سوى الفراغ والإحباط. إن سفر الجامعة الذي سنبدأ دراسته اليوم لا بد أن يساعدك لكي يحل لك هذه المعضلة العملية الهامة التي نواجهها جميعاً، ويجب على الكثير من تساؤلاتك حول معنى الحياة، وما هو العلاج الحقيقي للكثير من همومك وآمالك ومطامحك.

أكد سليمان الحكيم في العدد الأول من سفر الجامعة أنه هو كاتب هذا السفر فقال: « كلام الجامعة ابن داود الملك في أورشليم» (الجامعة 1:1). وتعبير الجامعة يعود إلى من يجمع. فهو كان يجمع أقوالاً حكيمة وأمثالاً. وفي نفس الوقت كان يجمع الناس لسماعها.

وفي العدد الثاني انتقل سليمان الحكيم مباشرة ليعرض المعضلة التي يريد معالجتها في فصول أو أصحاحات سفر الجامعة، فكتب شعاره الشهير الذي سيتردد دائماً في السفر وهو: « **الكل باطل قال الجامعة. باطل الأباطيل الكل باطل** » (الجامعة ١: ٢). لقد اختبر سليمان كملك كل أمور الحياة. فلقد حصل على الثروة والسلطة والجاه والعظمة والشهرة، وتزوج نساء كثيرات، وجرب كل شيء. ومع ذلك عند قرب نهاية عمره، وقف ليتأمل معنى الحياة، فوجد أن الكل باطل أي لا نفع له، ولا جدوى منه. لأنه لم يحقق له السعادة التي كان يتوق إليها. اعتبر البعض كلام سليمان هذا نوعاً من التشاؤم واليأس والسلبية، لكن الحقيقة أن سليمان كان يهدف أن يقودنا إلى حقيقة هامة وهي: أنه بدون الله وعلاقتنا الروحية الصحيحة معه، لا يمكن لنا كبشر أن نجد السعادة القلبية الحقة، ونحقق الاكتفاء لنفوسنا.

وتابع سليمان الحكيم قائلاً: « **ما الفائدة للإنسان من كل تعب. الذي يتعبه تحت الشمس. دورٌ يمضي ودورٌ يجيء والأرض قائمة إلى الأبد. والشمس تشرق والشمس تغرب وتُسرع إلى موضعها حيث تشرق. الريح تذهب إلى الجنوب وتدور إلى الشمال. تذهب دائرة دوراناً وإلى مداراتها ترجع الريح. كل الأنهار تجري إلى البحر والبحر ليس بملآن. إلى المكان الذي جرت منه الأنهار إلى هناك تذهب راجعة** » (الجامعة ١: ٣-٧).

أجل، إن الإنسان يكدر ويتعب ويبني لكن عندما يصل إلى نهاية حياته، يجد أن لا معنى لكل تعب. وكأنه قام بكل هذه الأمور لكي يملأ الوقت ويسد فراغ نفسه. والحقيقة المؤلمة هي أن الإنسان لا يستطيع أن يبذل سنن الحياة والطبيعة. فجيل يذهب وجيل يأتي وكل شيء يبقى على حاله. وقد ضرب لنا سليمان الحكيم مثلاً من الطبيعة، الشمس والرياح والأنهار. فالشمس تشرق وتغرب كل يوم، وكذلك الرياح تهب وتعود إلى موضعها. أما الأنهار فهي تبقى على حالها تصب في البحر، وتسلك في مجراها. فما هو علاج هذه الحالة يا ترى؟ وهل هناك أمر أعمق من كل هذه المظاهر؟

ثم تطرق سليمان الحكيم إلى حقيقة هامة أخرى وذلك بقوله: « **كل الكلام يقصرُ. لا يستطيع الإنسان أن يُخبر بالكل. العين لا تشبع من النظر والأذن لا تمتلئ من السمع** » (الجامعة ١: ٨). كان سليمان يعيش في عصر لم تُعرف فيه سرعة انتشار المعلومات وكثافتها كما هو في عصرنا اليوم. ومع ذلك اشتكى أنه لا يستطيع أن يعرف كل شيء عما يجري. لأن ما يحدث لا يستطيع أحد أن يُخبر به كله، فكل الكلام يقصر. وفي نفس الوقت إن عيوننا لن تشبع من النظر إذ هناك دائماً أشياء جديدة لم نرها. ونفس الأمر ينطبق على السمع، إذ من المستحيل أن تمتلئ آذاننا ونكتفي. فإذا كان سليمان الحكيم الذي عاش قبل المسيح بأكثر من



خدمة الإذاعة العربية

تسعمئة سنة، يشكو من عدم قدرته على معرفة كل شيء، فكم بالحري نحن الذين نعيش في اوائل القرن الحادي والعشرين، الذي في كل ثانية منه تصدر معلومات جديدة لا تُحصى ولا تُعد.

مستمعي الكريم، هناك معلومة علينا أن نعلمها جميعاً، وهي أهم معلومة وعلى رأس المعلومات. وهذه المعلومة هي التي تحل لنا معضلة الاحباط والفشل في حياتنا، وعدم اكتشاف معنى الحياة الحقيقي. إنها معلومة خبر البشارة المفرحة، أن المخلص المسيح يحررنا من قيود الخطيئة، ويجعلنا خليقة جديدة. وعندما نحصل على هذه الخليقة الروحية الجديدة، يصبح لحياتنا معنى، ونتخلص من الاحباط والفشل واليأس. فهل تود مستمعي أن تختبر هذا الإختبار المجيد؟ لما لا تأتي إلى هذا المخلص الفريد العجيب، المخلص المسيح، وتؤمن به فتحصل على أعظم الهبات.